## ٥ ـ تحصيل نظائر القرآن الكريم للحكيم الترمذي

### أولاً : المؤلف :

#### ١ ـ مؤلف :

تحصيل النظائر هو : محمد بن علي بن الحسن بن بشير التِّرمذي المؤذن المعروف بالحكيم أبو عبد الله " (١)

#### ٢ ـ مكانته :

قال عنه ابن النَّجار في " ذيل تاريخ بغداد " كان إماماً من أئمة المسلمين " (٢)

#### ٣ ـ شيوخه :

من شيوخه : والده ، وقتيبة ، وعلي بن حجر ، وأبو عبيد ، وابن أبي السفر ، وعليّ بن خشرم ، وصالح بن محمد الترمذي ، ومحمد ابن علي الشفيقي ، وسفيان بن وكيع ، ويعقوب بن شيبة . (٣)

ومن تلاميذه الذين رووا عنه وأخذوا منه :

أبو الحسن علي بن كردين بن سال العكبري ، وأبو الحسين محمد ابن محمد بن يعقوب الحجاجي الحافظ النيسابوريّ ، وأحمد بن عيسى الجوزجاني وآخرون .

#### ٤ ـ مكانته بين العلماء :

من المؤرخين الذين ذكروه في مؤلفاتهم السّمعاني في كتابه "الأنساب" فحينما سرد علماء " ترمذ " ومشايخها ذكر من مشايخها محمد بن علي الحكيم ، ولم يزد على ذلك شيئًا ولم يقدّم له ترجمة كما

---

( ١ ) انظر لسان الميزان : ٥ / ٣٠٨ .      ( ٢ ) السابق .      ( ٣ ) السابق .

فعل مع علماء ترمذ . (١)

ويبدو أن الترمذي لم يكن ذا باع طويل في العلم ، لأن السمعانيّ صنفه من مشايخ " ترمذ " ، ولم ينظمه في سلك علمائها ، فبعد أن ذكر علماء " ترمذ " قال : ومن مشايخها محمد بن علي الترمذي ولم يزد على ذلك شيئًا .

ومن العجب أن ياقوت في كتابه : معجم البلدان لم يشر إليه فلم يذكر اسمه من بين علماء " ترمذ " حيثما تحدّث عن هذه المدينة(٢) ويظهر على ما يبدو أن الحكيم الترمذيّ لم يكن من العلماء الموثّقين الذين يهتّم بهم المؤرخون ، ولا أدلّ على ذلك من أن ابن حَجَر ذكر في كتابه أنه لم يقف على ترجمة شافية له " (٣)

على أن ابن حجر نقل نصًا في كتابه " لسان الميزان " يذكر فيه أن القاضي كمال الدين بن العديم صاحب تاريخ حلب في جزء له سمّاه : " المَلْحة في الرّد على أبي طَلْحة " نقد فيه الحكيم الترمذي نقدًا جريحًا لاذعًا ، فمن نقده للحكيم الترمذي قوله :
" وهذا الحكيم الترمذيّ لم يكن من أهل الحديث ، ولا راوية له ولا أعلم له نظر فيه وصناعة ، وإنما كان فيه الكلام على إشارات الصوفيّة ، والطرائق ، ودعوى الكشف عن الأمور الغامضة والحقائق حتى خرج في ذلك عن قاعدة الفقهاء ، واستحق الطعن عليه بذلك والإزراء ، وطعن عليه أئمة الفقهاء والصّوفية ، وأخرجوه بذلك عن السِّيرة المرضيّة .

وقالوا : إنه أدخل في علم الشريعة ما فارق به الجماعة ، وملأ كتبه الفظيعة ، بالأحاديث الموضوعة ، وحشاها بالأخبار التي ليست

---

(١) انظر الأنساب للسمعاني : ٣ / ٤٣ . (٢) معجم البلدان لياقوت : ٢ / ١٣.
(٣) لسان الميزان : ٥ / ٣٠٩ .

بمرويّة ولا مسموعة " . . . الخ .

وعلق ابن حجر على ذلك بقوله : قلت : ولَعْمري ، لقد بالغ ابن العديم في ذلك ، ولولا أنّ كلامه يتضمّن النّقل عن الأئمة أنهم طعنوا فيه لما ذكرته "[1]

ومع هذا النّقد المرّ ، فقد ذكره أبو نعيم في " الحلية " بخلاف ما ذكره كمال الدين بن العديم ، فقد قال عنه :
" صنف التصانيف الكثيرة في الحديث ، وهو مستقيم الطريق ، تابع للأثر ، يردّ على المُرْجئة وغيرهم من المخالفين "[2]

## ٥ ـ أخلاقه :

يبدو أن اتجاهه الصوفيّ له تأثير كبير في مصنفاته ، فهو إذا صنّف لا ينتظر الإشادة بتصانيفه ، ولا يحسّ بالفخر بما كتب أو ألف فقد رووا عنه أنه قال : " ما وضَعْتُ حرفًا على حرف لينقل عني ولا لِيُنسب إليّ شيء منه ، ولكن كنت إذا اشتدّ عليّ وقتي أتسلّى بمصنفاتي "[3]

## ٦ ـ مؤلفاته :

أ ـ نوادر الأصول ، وهو كتاب مشهور[4]
ويذكر المحقق في مقدمته لكتاب " تحصيل النظائر " أنه طبع في أستانبول سنة ١٢٩٣ م .
ب ـ ختم الولاية ، قال ابن حجر :
إنه هجر بترمذ في آخر عمره بسبب تصنيفه كتاب :

---

( ١ ) لسان الميزان : ٣ / ٣٠٩ . ( ٢ ) السابق .
( ٣ ) السابق : ٣٠٨ .

" ختم الولاية ، وعلَل الشريعة " فحمل إلى " بلخ " فاكرموه لموافقته لهم في المذهب يعني الرأي . (١)

ويذكر المحقق في مقدمته أنه طبع ببيروت ١٩٦٥ م

جـ - الحج وأسراره طبع في القاهرة ١٩٦٩ م .

د - بيان الفرق بين الصدر والقلب ، والفؤاد واللّب ، طبع في القاهرة سنة ١٩٥٨ بتحقيق نقولا هير .

هـ - حقيقة الآدميّة : طبع بالأسكندرية ١٩٤٦ م .

و - الرّياضة وأدب النفس طبع في القاهرة ١٩٤٧ م .

ز - تحصيل النظائر . وهو موضوع الدراسة ، وقد قام بتحقيقه الأستاذ حسني نصر زيدان - كلية أصول الدين جامعة الأزهر . (٢)

**وفاته :**

ذكر ابن حجر أنه عاش إلى حدود العشرين وثلاثمائة وعاش نحواً من تسعين سنة ، والله أعلم . (٣)

---

( ١ ) السابق . ( ٢ ) انظر مقدمة التحقيق .

( ٣ ) لسان الميزان : ٥ / ٣١٠ .

## ثانيًا : تحصيل نظائر القرآن الكريم

يبدو أن الحكيم الترمذي اطلّع على المؤلفات التي سبقته في هذا الحقل مثل : الأشباه والنظائر " لمقاتل " والوجوه والنظائر لهارون ، " والتصاريف " لـ " يحيى بن سلام "

وهذه المؤلفات سارت على نمط واحد ، والتزمت منهجًا معيّنًا لم تحد عنه في معالجتها لظاهرة الكلمات المشتركة في القرآن الكريم ، حيث إن بعض الكلمات القرآنية ذات دلالات مختلفة مع اتفاقها في الكلمة الواحدة .

وهذا المنهج فرض نفسه على كل المؤلفين في الوجوه والنظائر سواء سبقوا الحكيم الترمذي أم جاءوا من بعده .
ويبدو مرّة أخرى أن منهج الحكيم الترمذيّ منهج متميّز ، لم يسبق إليه ، ولم يحاول أن يقلد من سبقه في تناول الوجوه والنظائر في القرآن الكريم .
ومنهجه يدور حول محور واحد ، وهو أنه لا اشتراك في الكلمة القرآنية ، فالكلمة القرآنية لها معنى واحد في الوضع اللغوي ، فمهما ابتعدت عنه ، واتجهت إلى معاني أخرى متنوعة ، ولها دلالات متباينة ، فإنها دائمًا مشدودة إلى المعنى اللغوي الذي وضع لها ، لأنها لا تستطيع الفكاك عنه ، والتهرّب منه ، فهي منبثقة منه ، منجذبة إليه ، يطل بوجهه في كل معنىً يبدو من أول وهلة أن الصلة بينه وبين المعنى اللغوي الوضعي مفقودة ، ولكنه عند التحليل والتعمق ، نجد أن هذا المعنى مرتبط ارتباطًا وثيقًا بوضعه اللغوي الثابت الذي تمثله الكلمة القرآنية .

ومن أجل هذا نستطيع أن نقول : إن الحكيم التّرمذي يذهب مذهب من يمنع المشترك اللفظي في القرآن الكريم .

وعند النّظرة الفاحصة إلى مذهب الحكيم الترمذي في منع المشترك اللفظي نجد أنّ الترمذي يذهب مذهب معاصره ابن درستويه المتوفي ٣٤٧ هـ على حين توفي الحكيم الترمذي على القول الراجح ٣١٨ هـ .

فالرّجلان متعاصران ، ولا ندري منّ الذي أثر في الآخر؟ كل الذي نعلمه أن ابن درستويه ـ كما سبق بيانه ـ كان يمنع وقوع المشترك اللفظي في اللغة لعدة أسباب منها :
١ ـ أنه ليس من الحكمة والصواب أن يقع المشترك اللفظي في كلام العرب لأنه يلبس .
٢ ـ لوجاز وضع لفظ واحد للدلالة على المعنيين المختلفين كان ذلك تعمية وتغطية للغة التي يفترض فيها الإبانة والوضوح .
٣ ـ ويقدّم ابن درستويه مثالاً لذلك مجيء : فعل وأفعل لمعنيين مختلفين ، فمن لا يعرف العلل ، ويتعمق في اللغة يحكم بأنهما مشتركان في اللفظ مختلفان في المعنى ، مع أنهما في الحقيقة لمعنى واحد " (١)

ومن الأدلة التي تشير في وضوح إلى إنكار الحكيم التّرمذي وقوع المشترك اللفظيّ في القرآن الكريم تناوله بعض الكلمات القرآنية التي تبدو في ظاهرها مشتركة ، وعند التحليل والتدقيق يتبين أن بينها وبين الاشتراك بونًا بعيداً .

وقد نصّ على ذلك صراحة ، إذْ ذكر في مقدمة كتابه ما نصّه :

---

(١) انظر ماسبق. ص

" وقد نظرنا في هذا الكتاب المؤلف في نظائر القرآن الكريم ،[1] فوجدنا الكلمة الواحدة مفسَّرة على وجوه ، فتدبَّرنا ذلك ، فإذا التفسير الذي فسَّره ، إنما اختلفت الألفاظ في تفسيره ، ومرجع ذلك إلى كلمة واحدة ، وإنما انشعبت حتى اختلفت ألفاظها الظاهرة الأحوال ، التي إنما نطق الكتاب بتلك الألفاظ من أجل الحادث في ذلك الوقت"[2]

ويقدم الحكيم الترمذي أمثلة لذلك ، من هذه الأمثلة :

١ ـ كلمة الهدى :

فقد جاءت على ثمانية عشر وجهًا ، فالحاصل من هذه الكلمة : كلمة واحدة فقط ، وذلك أن الهدى : هو الميْل ، ويقال في اللغة : رأيت فلانًا يتهادى في مشيته ، أي يتمايل ، ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ﴾[3] أي ملنا إليك ، ومنه سميت الهديّة : هدية ، لأنها تميل بالقلب إلى مُهديها ، وأن القلب أميرٌ على الجوارح ، فإذا هداه الله لنوره : أي أماله إليه لنوره : اهتدى أي : استمال ، وقد قال في تنزيله ﴿ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾[4] فهذا أصل الكلمة ، ثم وجدنا تفسير الهدى :

١ ـ البيان : فإنما صار الهدى بيانًا في ذلك المكان ، لأن البيان إذا وضع على القلب بنور العلم : مدّ ذلك النّور القلب إلى ذلك الشيء وأماله إليه .

٢ ـ الإسلام : وإنما صار الهدى في المكان الآخر " الإسلام " ، لأنه إذا مال القلب بذلك النور إلى ذلك الشيء الذي تبين له : انقاد العبد وأسلم ، ومدّ عُنقًا إلى قبوله .

---

( ١ ) لعله يقصد بعض الكتب التي وضعها المؤلفون قبله أو في عصره .

( ٢ ) انظر : تحصيل النّظائر : ١٩ . ( ٣ ) الأعراف : ١٥٦ . ( ٤ ) النور : ٣٥ .

٣ ـ التوحيد : وإنما صار الهدى التوحيد في المكان الآخر ، لأنه إذا مال القلب إلى ذلك النور : سكن عن التردد ، واطمأن إلى ربّه فوحدّ .(١)

وأخذ الحكيم الترمذي يسرد أقوال أصحاب الوجوه والنظائر في هذه الوجوه التي بلغت ثمانية عشر وجهًا ، مبيّنًا أن هذه الوجوه جميعًا لا تحمل معاني مستقلة عن معناها اللغويّ الوضعي ، لأنها كلها تنبع من منبع واحد وهو الميْل كالجداول التي تنبع من النهر ومصدرها جميعًا النهر ، لأنها بدونه لا تكون جداول .

٢ ـ الإسلام :

قال الحكيم الترمذي ما نصّه :

وأما قوله " الإسلام " ، على كذا وجه : فالإسلامُ مشتقّ من التّسليم ، فالعبد إذا جاءه نور الهداية : عرف ربّه ، واطمأن إليه ، وسكنت نفسهُ واستقر قلبه بالمعرفة الواردة على قلبه ، فانقاد له بأن يأتمر بكُلّ ما يأمره به ، فذاك من العبد تسليم النفس إلى ربه عُبودَةً .

١ ـ الإيمان : وإنما سمى " مؤمنًا " لاستسلام قلبه ، وطمأنينة نفسه فالإيمان والإسلام من العبد في عقد واحد ، لما عرفه استقر قلبه ، واطمأنت نفسه ، فلزمه اسم الإيمان لطمأنينته ، وسلم نفسه لله عبودة بكل ما يأمر فلزمه اسم الإسلام ، فهذان اسمان لزماه بهذا العقد الواحد الذي اعتقده بقلبه ، ثم اقتضى الوفاء بهذا الإيمان والإسلام إلى يوم يموت فإن وفىّ : دخل الجنة بغير حساب ، وإن وفىّ ببعض وضيّع بعضًا : بقي في الموقف للحساب ، فإنما وقع الحساب على الموحدين لهذا ،

---

(١) تحصيل نظائر القرآن الكريم : ٣١ ـ ٣٣ .

والعبد من ربه بين أمرين :

أ - بين أمرٍ حكَم اللهُ عليه به مثل : العز والذل ، والغنى والفقر ، والحب والكره ، فاقتضى له الوفاء بأن يطمئن إلى حكمه كما اطمأن إليه فيرضى بما حكم ، فإن جزع : حُوسِب ، وإن رضى : أكرم وأثيب على وفائه .

ب - وبين أمر أمره أن يفعله مثل الفرائض ، واجتناب المحارم ، فإذا وفى بهذا فهو مسلم ، لأنه قد سلم نفسه إليه عند كل أمر ونهى . وما ضيع منه فالحساب لازم ، وهو موقوف بين عفو أو عقوبة .[1]

وهذه الوجوه التي ذكرها أصحاب الوجوه والنظائر بالنسبة لمعاني الإسلام أرجعها الحكيم الترمذي إلى وجه واحد ، وهو التسليم أي تسليم المؤمن نفسه إلى ربه عُبودةً .

والواقع أن الحكيم الترمذيّ في مذهبه الذي ذهب إليه ضيّق واسعاً وحاول أن يحبس البحر المتلاطم من المعاني القرآنية في قمقم سليمان فالألفاظ محدودة ، والمعاني غير متناهية ، لأنها تتطوّر باستمرار وتتلون بلون البيئة التي تعيش فيها .

وقد بينت فيما سبق أن هناك كلمات قرآنية خرجت عن وضعها اللغوي الذي وضع لها في العصر الجاهليّ ، وحوّلها القرآن الكريم إلى معاني مستقلة عن معناها اللغوي الذي وضع لها .

وكما خالفه أصحاب الوجوه والنظائر قديماً خالفه أصحاب اللغة المحدثون .

فمن البدهي أن اللفظ في أول وضعه كان يدل على معنى واحد ثم

---

( ١ ) تحصيل النظائر : ١٢٢ ، ١٢٣ .

تولّد من هذا المعنى الواحد عدّة معان ، وهذا التوالد هو ما نسميه تطوّر المعنى :

" وهذا التطوّر يسير ببطء وتدرج ، فتغير مدلول الكلمة مثلاً لا يتمّ بشكل فجائي سريع ، بل يستغرق وقتاً طويلاً ، ويحدث عادة في صورة تدريجية ، فينتقل إلى معنى آخر قريب منه ، وهذا إلى ثالث متصل به وهكذا دواليك حتى تصل الكلمة أحياناً إلى معنى بعيد كل البعد عن معناها الأول " (١) هذه ناحية .

وناحية أخرى تتضح في مذهب الحكيم الترمذي وهي ظاهرة التكلف في كل الكلمات التي تناولها ، فنحن لا نستطيع أن نعرف المعنى الأول الذي وضع للكلمة معرفة دقيقة ، فقد يكون المعنى الأول هو المعنى المتطور عن المعنى الثاني ، وهكذا ، ثم إن الألفاظ يختلف بعضها من قبيلة إلى قبيلة ومن عصر إلى عصر .

وناحية ثالثة : لو سرنا على مذهبه لتوقفت اللغة من قديم ، وتحجّرت وأصبحت أثراً بعد عين ، وتتحول إلى كائن ميت ، وليس بكائن حي وهذا يخالف الواقع ، فاللّغة ظاهرة اجتماعية عاشت في كل عصورها مرفوعة الرأس مهيبة الجانب ، لأنها حيّة في تطوّر ألفاظها ونموّ معانيها ، وإشعاع دلالتها مما جعلها لغة الخلود .

على أية حال كانت ، فنحن وإن كنا على خلاف مع الحكيم الترمذي في مذهبه أو رأيه إلاّ أننا نرى أنها لفتةٌ علميّة انفرد بها في ميدان الوجوه والنظائر ، ولم يسبقه أحد إليها من قبل ، ولم يحاول أن يقلدهُ فيها أحد من بعد .

---

( ١ ) انظر : علم اللغة للدكتور علي عبد الواحد وافي : ٣١٤ .

على أن الذي يدعو إلى العجب أيضًا أن الحكيم الترمذي كما جار على المعاني المختلفة للفظة الواحدة فيما يُسَمّى المشترك اللفظيّ جار على الألفاظ المتعدّدة للمعنى الواحد فيما يسمّى الترادف ، فقد بين محقق تحصيل النظائر أن له كتابًا عنوانه " الفروق ومنع الترادف"[1] حيث يرى أن اللفظ له وضع ثابت مهما تغيرت الأحوال ، واختلفت المقامات وكتاب " الفروق " يذكر المحقق أنه تحت الطبع في القاهرة ويبدو أن أبا هلال العسكري الذي جاء بعده [2] كان متأثرًا به ، وفكرة عدم الفروق بين الألفاظ لعله متأثر في مجالها بالحكيم الترمذي . بقي بعد هذا أن نشير في إيجاز إلى منهج الحكيم الترمذي في كتابه

**منهجه :**

١ ـ تفسير الكلمة القرآنية على أساس وضعها أولاً ، ثم يتناول معانيها الأخرى ، ليربطها بالمعنى اللغوي الوضعيّ لها :
فكلمة " أحس " [3] يفسّر معناها اللغوي ، فيقول :
" وأما قوله : " أحس " على كذا وجهٌ : فالإحساس هو علم النفس وهو وجود النفس خَبَر الأشياء ، وإنما سميت الحواس الخمس حواساً لأنهن يجلبن الخبر إلى النفس " .

ثم ينتقل بعد ذلك إلى معنى آخر لـ " أحس " محاولاً ربطه بمعناه اللغوي ، فمن معاني أحسّ : عرف .
يقول : " وإنما صار أحسّ في هذا المكان يعني : عرف ، لأن النفس عرفت ما عاينتْ " [4]

---

( ١ ) انظر : مقدمة تحصيل النظائر : ١٥ .
( ٢ ) قال السيوطي في البغية : ١ / ٥٠٧ : " وقال ياقوت لم يبلغني شيء في وفاته إلا أنه فرغ من إملاء : الأوائل " يوم الأربعاء لعشر خلت من شعبان ٣٧٥ هـ .
( ٣ ) من قوله تعالى : ( أحس عيسى منهم الكفر ) آل عمران : ٥٢ وغيرها .
( ٤ ) تحصيل النظائر : ١٣١ .

٢ ـ الاستشهاد بالقرآن الكريم ، ليقوّي ما يرى ، ويدعم ما يقول :
فالظن تفسيره اللغوي هو : " الشيء الذي يتراءى للقلب ، فيحسب أنه هكذا والتهمة مقرونة به لا يقين هناك ، فإذا غلب على القلب حُسْنُ الظنّ صار علماً ، وإذا لم يغلب فهي محسّة مع التهمة "
ثم يستدل بالقرآن بأن الظن قد يكون علماً فيقول :
" وإنما صار ها هنا الظن " علماً " في هذا المكان حيث يقول : " وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ " [1] أي علم ، لأن الملائكة دخلت عليه المحراب بتلك الخُصُومة ، فضربت له المثل حيث قال الله تعالى : ( إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِىَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ ) [2] فمن ذلك المثل المضروب تراءى له سوء فعله ، فصار ، ما تراءى له ظناً .
ثم يقول : " وإنما صار الظنّ ظناً في مكان آخر ، لأنه لم يكن مع يقين ، ولا انكشف له علم ذلك عن الغطاء فلذلك قال الله تعالى :
( وَمَا نَحۡنُ بِمُسۡتَيۡقِنِينَ ) [3]
٣ ـ وإلى جانب الاستشهاد بالقرآن الكريم نجد أنه ، يستشهد بالحديث الشريف وذلك عند تعرضه لكلمة " الذكر " ، فمن الذكر التكبير وهو وصف الله تعالى بالكبرياء لقوله تعالى : ( وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ) [4]
ومن أجل إثبات هذا المعنى ، وتقريره في النفسّ يقول :
روى عن رسول صلى الله عليه وسلم أنه قال : " يقول الله العظمة إزاري ، والكبرياء ردائي ، فمن نازعني فيهما ألقيته في النار " [5]

---

( ١ ) صٓ : ٢٤ . ( ٢ ) صٓ : ٢٣ . ( ٣ ) الجاثية : ٣٢ . وانظر تحصيل النظائر : ١٠٦ ، ١٠٧ . ( ٤ ) الجاثية : ٣٧ . ( ٥ ) تحصيل النظائر : ٦٧ .

٤ ـ ومن منهجه أنه تغلب عليه الصّوفية والوَعْظ ، ولعلّ السبب في ذلك أنه اشتغل بالتّصوّف والفلسفة وله فيه مؤلفات أشرنا إليها من قبل ، وهي :

١ ـ حقيقة الآدمية ،

٢ ـ الرياضة وأدب النفس .

٣ ـ بيان الفرق بين الصدر ، والقلب ، والفؤاد واللب .

٤ ـ ختم الأولياء .

ولهذا السبب نراه لا يسير على نمط واحد في كتابه ، فبعض الكلمات مثل الأسباب [١] و " السّوي " [٢] لا تتجاوز نصوصها أربعة أسطر على حين نجد كلمة " الذكر " استوعبت من كتابه سبع عشرة صفحة . [٣]

وبعد ، فإن هذا الكتاب يعتبر تأليفًا فريدًا في الوجوه والنظائر اعتمد فيه الرجل على مذهب من لا يرى الاشتراك اللفظي في اللغة إلى جانب أن الصّوفية التي تدعو إلى تهذيب النفس ، وتطهير القلب ، وتصفية الروح حيث أطال فيها القول وبخاصة عند تعرّضه لكلمة : " الذكر " كانت مُسَيْطِرةً عليه .

---

( ١ ) تحصيل النظائر : ١٥٣ .

( ٢ ) السابق : ١٤٧ .

( ٣ ) من ص ٥١ إلى ٦٧ .

# نماذج من : تحصيل النظائر

## أولاً : في مجال الأسماء

### ١ ـ قانتون

وأما قوله : قانتُون[1] على كذا وجه ، فالقنوت : المقابلة ، وهو أن تقابل بوجهك وبدنك عظمته ، فتقف بقلبك بين يدي عظمته ، وتقابل ببدنك الوِجْهة التي وُجِّهْت لها ، وهي معَلّمه ، وهي : الكعبة ، فذاك منه إعظام له ، ولذلك قيل : القنوت " الطاعة " لأن الطاعة من الإعطاء .

ويقال : أطاع وأعطى ، فأطاع بقلبه وبدنه ، فما كان بقلبه وبدنه يقال : أطاع ، وما كان من ماله يقال : أعطى ، ألا ترى أنه قال : أعطى من نفسه ما أردنا ، وأعطى من قلبه ما أردنا ، فتلك الطاعة ، وأما المعصية التي هي ضد الطاعة ، فامتناع النفس عندما دعيت .

فإذا اشتد وامتنع : قيل عصى واعتصى ، وتعيَّص ، أي : اشتد ولم ينقد ولم يلن ،
وإذا دعوته فأجاب ، ومدَّ الحق العنق إلى الدعوة فانقاد ، قيل أطاع أي أعطى من نفسه ما أريد منه .[2]

---

(١) الروم : ٢٦ .　　(٢) تحصيل النظائر : ٥٠ .

## ٢ ـ الجبار

وأما قوله " الجبار " (١) على كذا وجه : فالجبّار الذي يَجْبر الأشياء قهرًا ، ويحملهم على مشيئته ، أحبُّوا أو كَرِهوا ،

والجبْرُ هو أن يجبر الشيء المكسور ، فإنما قيل جَبَر ، لأنه العَظْم على العَظْم حتى اتّصل ، وإنما قيل أجبره أي حمله على ذلك الشيء كُرْهًا حتى فعل وجَبَر .

وهو متعد ولازم ، وأجبر هو متعد فقط ، وقيل في بعض الرجز :

" قَدْ جَبَـر الدِّيـن الإلَـه فَجَبَـر " .(٢)

أي أن الإله جَبَر الدِّين فـجـبـر الدِّين بنفسـه من فعْل الله به .

١ ـ القتال على الغضب : وإنما صار الجبار " القتال علَى الغضب " الذي يضرب على الغضب ، لأنه حمله ذلك على القتل والضرب .

٢ ـ المسلط : وإنما صار في مكان آخر " المسلط " لأنه يُسلّط حتى يقهر ، ويحملك على المكروه . (٣)

٣ ـ قوم عاد : وإنما صار في مكان آخر " قوم عاد " في طول قامتهم لأنهم كانوا يَقْهرون الخَلْق بما أعطوا من عِظَم الْخَلْق ، فمرجع ذلك كله إلى القهر . (٤)

---

( ١ ) انظر الحشر : ٢٣ ، ولم ترد في القرآن الكريم كصفة من صفات الله تعالى إلاّ في هذا الموضع فقط ، وإن تكررذكر هذه الكلمة ومشتقاتها في القرآن الكريم أكثر من مرة بالنسبة للمخلوقين .

( ٢ ) العجاج : ديوانه : ٤ ، وهو أول بيت من قصيدته التي بدأ بها الديوان ، وفي هذه القصيدة يمدح عمر بن عبد الله بن معمر ، من شواهد الخصائص : ٢ / ٢٦٣ ، والاقتضاب في شرح أدب الكتاب : ٤٠٧ ، والأشموني : ٤ / ٢٤١ .

( ٣ ) في قوله تعالى : ( وإذا بَطَشْتُم بَطَشْتُم جبَّارين ) الشعراء : ١٣٠ .

( ٤ ) تحصيل النظائر : ١٥١ .

# ثانياً : في مجال الأفعال

## اطمأنّ

وأما قوله " اطمأن " على كذا وجه ، فقوله اطمأن من الطُّمو ، يقال " طَمَّ عَلَى الشيء " إذا غطّاه وقَهره حتى سكَنَ وذلّ ، وطمى الماء إذا علا موجُهُ وتيّارهُ وغلب على المياه حوله .

فالنّون في قوله " اطمأن " زائدة في الكلمة لتقوية الكلمة . وكل شيء صيرت له قائمة ، فقد قوّيته ، وصيرت له قراراً ، من أجل ذلك سمّي الحوت الذي عليه قرار الأرض [1] " نوناً " .

١ ـ السكينة : ، فإنّما صار اطمأن في هذا المكان " السكينة " [2] ، لأنه غطّاه وسكّنه .

٢ ـ الخبت ، وإنما صار الاطمئنان في مكان آخر " الخبت " لأن الخبت ، ما تطامن من الأرض ، أي ، اتّضع وانهبط ومنه قوله تعالى : (...ٱلْمُخْبِتِينَ) [3]

---

( ١ ) ذكر المحقق أن هذه خرافة تلقاها القدامى بلا تمحيص ، وتناقلوها بما فيها من أخطاء وقد ثبت أن الأرض تسبح في الفضاء الكوني . . . وصعود الإنسان إلى القمر والنزول على سطحه ، كل ذلك دليل صدق وشاهد حق على أن الأرض لا تستقر على حوت أو على سمكة انظر هامش : ١١١ ، والحقيقة أنها أخبار سماعيّة ، وقد رواها صفوة من المحدثين والمؤرخين فالألوسي يقول : النون ، قيل إنه اسم الحوت الذي عليه الأرض يقال له : اليَهْموت بفتح الياء وسكون الهاء ، واستدل على ذلك بما رواه الضياء في المختار والحاكم وصحّحه ، " وروى جمع عن ابن عباس أن الله خلق النون منبسطة عليه الأرض . انظر تفسير الألوسي : ٢٩ / ٢٣ . ومن المؤرخين الذين رووا ذلك سبط ابن الجوزي المتوفي ٦٥٤ فقد نصّ على ذلك في باب خلق الأرضين ، فقال : أول ما خلق الله العالم فجرى بما هو كائن . . . ثم خلق النون ، وهو الحوت الذي يحمل الأرض ، فبسط الأرض على ظهره . انظر : مرآة الزمان : ١ / ٥٧ . وفي رأيي أن هذه أمور سمعيّة يجب التوقف إزاءها بدون إنكار .

( ٢ ) من قوله تعالى : ( هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ) الفتح : ٤

( ٣ ) من قوله تعالى : ( وبشّر المخبتين ) الحج : ٣٤ .

فالمخبت المطمئن إلى ربه وقلبه متطامن ، أي منحدر ليستقر فيه الشيء .[1]

## ثالثًا : في مجال الظروف

### أنّى

" وأما قوله : " أنى " فإنها تقع على الصّفات على " كيف " [2] " ومِنْ أين " ، [3] ومن القائم كالاستفهام " [4]

## رابعًا : في مجال الحروف

### إن

وأما قوله في تفسير إنْ : فإنّ " إن " حرفان من حروف المعجم ، ففي الألف القوة . وفي النون القِوام ، لأن الأصل القوة فيها ، فإن طلب طالب من أين هذا ؟ قيل له : هذه الحكمة العليا ، وهي حكمة الحكمة مستورة عن الخلق إلا أنبياء الله وأهل الصفوة من أوليائه المختصين بمشيئته : فاكتف بهذا القدر الذي بيّنا ، فإن العلوم كلها في حروف المعجم لأن مبتدأ العلم : أسماء الله ، ومنها خرج الخلق والتبير في أحكام الله حلاله وحرامه ، والأسماء من الحروف ظهرت ، وإلى الحروف رجعت فهذا مخزون من العلم ، لا يعقله إلا أولياؤه الذين عقولهم عن الله عقلت ، وقلوبهم بالله تعلقت ، فولهت في أولوهيته ، فهناك كشف الغطاء عن هذه الحروف ، وعن الصفات ـ صفات الذات ـ فقوله " إن " إنما هو ألف ونون مخففة ، فالألف عماد ، والنون قوام ، فربما احتاج أمر إلى قائمتين ، فزيد نونٌ أخرى ،فادغمت إحداهما في الأخرى ، فاشتدتا ، فقيل " إنّ مشددة " وربما استغنى بإحداهما

---

( ١ ) تحصيل النظائر : ١١١ .

( ٢ ) في قوله تعالى : ( أنّى يُحْيِي الله هذه بعد موتها ) البقرة : ٢٥٩ .

( ٣ ) كقوله تعالى : ( أنّى لك هذا قالت هو من عند الله ) آل عمران : ٣٧ .

( ٤ ) تحصيل النظائر : ٢٠٥ ، ٢٠٦ .

عن الأخرى ، كقوله " إن " مخففة ، فما كانت مشددة فمن قوتها عملت في الأسماء فنصبتها ، وما كانت مخففة لم تعمل في الأسماء وحلت محل " ما " كقوله تعالى : ﴿ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴾[1] يقول : ما الكافرون إلا في غرور ، وإذا اشتدت بلن صارت نونين نصبت الاسم ، كقوله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[2]

ونكتفي بهذا القدر من النماذج التي أظهرتْ لنا في وضوح أن الحكيم الترمذي مفسّر لغويّ لا يؤمن بالاشتراك اللفظيّ في كتاب الله ، ويخلط تفسيره بالتّعبيرات الصّوفية التي نلمس فيها ألفاظ الوَجْد والحُبّ والشّوق إلى الذات الإلهيّة ، وتفسير الحروف الأبجدية تفسيراً صوفيًا لا يدركه إلا أولياؤه الذين عقلوهم عن الله عقلت ، وقلوبهم بالله تعلّقت ، فوَلِهتْ في ألوهيّته ، فهناك كَشْفُ الغطاء عن هذه الحروف .[3]

---

( ١ ) الملك : ٢٠ . ( ٢ ) التوبة : ٦٧ ، وانظر : ١٠٤ ، ١٠٥ من التحصيل .

( ٣ ) انظر : ١٠٥ من الكتاب .